الفتوحات الصمدية

في

الرد على مغالطات الوهابية

تأليف

الأستاذ الملا محمد سعيد الآمدي

اسم الكتاب:

الفتوحات الصمدية في رد على مغالطات الوهابية

الإعداد:

الأستاذ الملا محمد سعيد الآمدي

التصميم:

عبد السلام البيجرماني

الناشر:

صباح الدين الچاني

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

يوزع مجاناً لا يابع

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م

Baskı ve cilt

Ravza Yayıncılık ve Matbaacılık

Davutpaşa Cad. Kale İş Merkezi, No: 51-52

Topkapı - İstanbul

Tel: (0212) 481 94 11

Barak Vakvi

Mehmet Barak ve Ailesinin Hayratıdır

Parayla Satılmaz

تقريظ

بسمه سبحانه

حمداً لك اللهم على ما أوليتنا من النعم، وصببت من خزائن ألطافك على قلوب خلّص عبادك أسرار الحقائق وأنوار الحكم. وصلاةً وسلاماً على سيدنا محمد نبراس الهدى لقاطبة الأمم، وآله وأصحابه مناهل العرفان وينابيع الكرم.

أما بعد؛ فقد أتيح لي مطالعة الكتاب المسمى بـــ(الفتوحات الصمدية) وجدته كتاباً حاوياً في بابه، راقياً في موضوعه، قوياً في تعبيره، عميقاً في تفكيره، جميلاً بجمله، محلّى بوهاده وقلله.

جزا الله الأستاذ الملا سعيد التاخكي خير الجزاء، ووقاه من كل كدر وعناء، حيث إنه مع تقدم سنه، ونحافة بنيته بعوارض الشيخوخة قام بهذا العمل الثقيل، كما قام به سلفه في ميافارقين الأستاذ العلامة (الملا حسين الكچك) أيضاً.

فأتى الأستاذ السعيد بالدعاوى الهادفة إلى زلزلة عقائد الغفلة من العوام، وزعزعة ما عليه أهل السنة والجماعة من العقيدة السليمة، والفضيلة المغبوطة، والمنهج القويم، ثم سرد الدلائل على إبطال تلك الدعاوى سرداً منطقياً غنياً بأقيسة مستقيمة الحدود وتامة الشروط، ومنتجة نتائج لا يحوم حول حماها الفساد، ولا يتجاسر الخصم على نقضها، أو معارضتها، أو منعها إلا المعاند اللدود أو المكابر الكؤود.

والأستاذ السعيد واحد بل أوحدي من علماء مدارسنا الجبلية التي لم تزل منابع الحكمة والعرفان والتقوى والإخلاص أدامها الله سبحانه وتعالى بقِيَمها قائمة إلى يوم القيامة.

نعم؛ ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾ فلا بد أن يصان من الأعداء الأنفسية والآفاقية ويدافع عنه بكل الوسائل كتابة بالأقلام، ومشياً على الأقدام، وتعبيراً باللسان، وتفكيراً بالجنان، يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾

نعم؛ نحن نرى اليوم الهجمات حتى على آجام الإسلام -إن حسداً وإن عناداً إن قريبة وإن بعيدة- وليس الهدف منها إلا رد الإنسانية السامية إلى الحيوانية الأولى، وتبديل الفضائل بالرذائل والسعي وراء متطلّبات النفس السائقة إلى سقوط الإنسان من ذروة الإيمان إلى موحلة الكفر والعصيان.

فإذا لم يقم آباء العلم بإرشاد الأنام إلى القيام بكل صلابة أمام هذه الهجمات تنـــزل دواهٍ يهلك منها الحرث والنسل، ويبقى جماهير الإنسان كأنهم بهائم لا شعور لهم بما نزل بهم، فيخوضون في الشهوات -حلالاً أو حراماً-، فيضربون على صخرة الوخامة ومشوكة الشقاء في كلتا الدارين.

فعلى كل العلماء صرف ما في الوسع للنجاة من هذه الدواهي، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه المسلم. وأي عون أعلى من توجيه الحيارى وإيقاظ السكارى من نومة الخوض في الشهوات الناشئة من الغفلات من كل الجبهات. وإلى الله المشتكى من الكسل والكتم والتواني والأماني.

وقام بطبع هذه الباكورة أخونا الفتي المكين، والْحُلاحل الرزين الملا صباح الدين الچاني شكر الله سعيه، وأوفر أجره، وجعل نيته متوجهة إلى مرضاته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الفقير إلى ألطاف ربه القدير

الحزين حسني گجر

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لك الحمد، يا من لا يغيب عن علمه الغيوب، ولا يخفى عليه العيوب، ولا تنقصه مغفرة الخطايا والذنوب، ويا من اجتبيت من العلماء أهل الذكر، ووجهت الخلق إليهم للسؤال والجواب، ويا من أمرت المترددين في تيه الحيرة بالمراجعة إلى أهل الخبرة والصواب. صلّ على محمد -أول شافع ومشفّع وسيد ولد آدم من العجم والعرب-، الذي نبّه المفرطين والمفرّطين بقوله: {من قال هلك الناس فهو أهلكهم} وعلى آله كنوز العلم والأدب، وأصحابه الذين بلغوا رسالة ربهم من الشرق إلى الغرب.

أما بعد؛ فلك الحمد يا ربي على ما رزقتني بعد سنين زيارة أستاذي العالم الفاضل سيدا الملا محمد سعيد التاخكي الفارقيني في دياربكر (أدام الله بقائه وعمم نفعه)، ورأيته يتقاطر العلم من لسانه، ويسطع البراهين القاطعة من قلمه، ويعرق جبينه للدفاع عن السنة السنية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام، وعن عقيدة السلف الصالح، (رضي الله تعالى عنهم أجمعين).

وألف كتاباً عسى أن يكون ملجأً ومنجًى لمن حفظه الله من هجومات إخواننا الوهابيين. وعزمت لنشر هذا الكتاب القيم بطبعة جديدة ليكون نفعه أعم، وجهد الأستاذ أقوى وأدعم.

وأردت أن أشجع الأساتيذ من العلماء في ديارنا ليبذلوا جهودهم في سبيل توسيع نطاق إظهار علومهم المخبوئة في خزائن صدورهم، ويشمروا أكمامهم، ويشدوا إزارهم، ويظهروا علومهم، ويبذلوا أيضاً جهودهم في الباقيات الصالحات.

اللهم أطل عمرهم وكثر خيرهم وعمم نفعهم وخذ بناصيتنا إلى الخير وسبل السلام وطريق السادات الكرام قدس الله أرواحهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

١٧/ربيع الآخر/١٤٣٠هـ الموافق سنة: ١٢/نيسان/٢٠٠٩ م

صباح الدين الچاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي العظمة والكبرياء، والشكر له على كل نعم وآلاء، وهو المتصرف في ملكه وملكوته بما شاء وكيف شاء، والمؤثّر وحده في جميع الموجودات بالإيجاد والإعدام والإبقاء، وهو الخلاّق والمبدع وحده للأسباب ومسبباتها لا تأثير للأسباب فيها لا بالإيجاد ولا بالإعدام ولا بالإبقاء، وإنما جعل الأسباب بين قدرته ومقدوراته لحكم هو يعلمها ويعلّم بعضها أحياناً لمن يشاء، كما جعل في بعض الأوقات أنبيائه وأوليائه مظاهر ومجاري للمعجزات والكرامات أمواتاً وأحياء، فحياتهم ومماتهم في جواز كونهم مظاهر ومجاري للمعجزات والكرامات لا موجدين لها سواءٌ بالنسبة إلى قدرة الله القادر على كل الأشياء حين انحباس أرواحهم في الأجساد الترابية الكثيفة في دار الفناء، فبطريق الأولى حين تجردها عن تلك الأجساد الكثيفة في البرزخ وفي دار البقاء، لا يلتبس هذا إلا على أصحاب القلوب العمياء، وهو المستحق للعبادة بأفرادها وأنواعها وكلها وأجزائها وكلياتها وجزئياتها وجاعلها لغيره تعالى كفراً وشركاً ولو كان ذلك الغير نبياً مرسلاً أو ملكاً مقرباً أو ولياً من كبار الأولياء، ولكنه جل وعلا جعل بعض مخلوقاته من ذوي الأرواح والجمادات أيضاً شعائر ومعالم لدينه المقدس ودلائل للاهتداء كما خاطب الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم عليه أفضل

الصلاة وأتم التسليم بقوله القديم: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1] وكما قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾[2] وعظّمهم وشرع لعباده تعظيمهم حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[3] ولكن من غير أن تجعل له تعالى في الربوبية والألوهية أو في أحدهما أنداداً وشركاء، لا إله إلا الله ولا ربّ ولا خالق ولا مؤثّر في الأكوان سواه، وحده لا شريك له ولا مثيل له لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله العلياء.

والصلوات الكاملات المتطافرات، والتسليمات الطيبات المتواترات، والتحيات الزاكيات الدئمات، على أشرف وألطف وأكمل وأفضل وأكرم وأعلم وأفصح وأملح وأكبر وأنور المخلوقات، صاحب الرسالة العظمى سيدنا وسيد الأولين والآخرين محمد المصطفى مظهر المعجزات الزاهرات الباهرات. وعلى آله وأصحابه الذين بشرهم الله تعالى برحمة منه ورضوان وجنات: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ و﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ و﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ بنصوص الآيات والبينات.

«**أما بعد**» فيقول أحوج العبيد إلى ألطاف ربه المجيد محمد سعيد ابن أحمد بن ولي -حفهم الله تعالى بلطفه الخفي والجلي-: لما انتشر في أرجاء

---

[1] - سورة الشورى: ٥٢

[2] - سورة البقرة: ١٥٨

[3] - سورة الحج: ٣٢

وقتنا الحاضر الرأي الوهابي الذي هو من الآراء المبتدعة اللاتي أخبر بها بطريق الإخبار عن الغيب لأنها لم تكن في عهده ﷺ على سبيل تحذير أمته عنها الصادق المعصوم ﷺ بقوله الشريف: {افْرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى احْدَى اَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى احْدَى اَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتْ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً} زاد في رواية: {ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ}[1] وقد وشح كثير من علماء الإسلام كتبهم ورسائلهم بهذا الحديث الشريف، ورووه بروات متعددة حتى كاد أن يكون معناه متواتراً، رأينا من الواجب الشرعي على كل مسلم منحه الله تعالى استطاعة على تغيير ذلك الرأي أن يغيره حسب إحدى مراتب الحديث الشريف المروي عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: {مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإيمان}[2]

فأردنا أن نؤدي واجبنا هذا حسب المرتبة الوسطى والأخيرة بالقلم النائب عن اللسان المعرب عما في الضمير لأن تينك المرتبتين هما اللتان في استطاعتنا فكتبنا هذا الكتاب بعناية الله الملك الوهاب، وسميناه بـــ[الفتوحات الصمدانيّة في الردّ على مغالطات الوهابيّة] ورتبناه على مقدمة وخمس مقالات وخاتمة؛

---

[1] – رواه أبو داود والترمذي بأسانيد صحيحة عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ التاج الجامع للأصول: ج١، ص٤٦

[2] – رواه مسلم

المقدمة؛ في بيان معنى المغالطة، وفي بيان نسبة الفعل وما بمعناه إلى فاعلهما. والمقالات الخمس؛ في رد المغالطات الخمس التي تجمد عليها الوهابية الذين بدلوا عنوان الوهابية بعنوان السلفية جهلاً مركباً أو ترويجاً لمذهبهم الزائغ عن الصراط المستقيم بين أبناء السنة السنية من قليلي العلوم الدينية، ومرضى القلوب بالهوى النفسانية.

والمغالطات الخمس هي؛

١ - حمل آيات قرآنية نزلت في حق المشركين على المؤمنين الصالحين مطلقاً.

٢ - تكفير داعي المقبورين والغائبين بنحو الاستشفاع عن أرواحهم مطلقاً.

٣ – المنع من التوسل والتوسط مطلقاً.

٤ – المنع من التبرك مطلقاً.

٥ – المنع من زيارة قبر رسول الله ﷺ مطلقاً.

والخاتمة؛ في إثبات المعجزات للأنبياء عليهم الصلاة والسلام والكرامات للأولياء قدس الله تعالى أسرارهم بعد موتهم أيضاً.

مقدمة

المغالطة -كما في علم الميزان- هي؛ قياس مؤلف من مقدمات كاذبة شبيهة بالحق، ولا تكون حقاً. ويسمى سفسطة. كما إذا قيل لصورة الفرس المصورة على صحيفة: «هَذِهِ الصُّورَةُ فَرَسٌ، وَكُلُّ فَرَسٍ صَهَّالٌ» ينتج هذا القياس أن «هَذِهِ الصُّورَةَ صَهَّالَةٌ». وصغرى هذا القياس وهي قوله: «هَذِهِ الصُّورَةُ فَرَسٌ» كاذبة، لأن صورة الفرس لا تكون فرساً، فيستلزم كذب صغرى هذا القياس كذب نتيجته، لأن كذب المقدمتين أو أحدهما يستلزم كذب النتيجة.

ومن قبيل هذا القياس الكاذب في الكذب جميع مخترعات الوهابية. مثلاً قولهم: «إِنَّ الْعَصَا خَيْرٌ مِنَ الأَمْوَاتِ، لأَنَّ الْجَمَلَ الْبَارِكَ لاَ يَقُومُ عِنْدَ قَوْلِ الْقَائِلِ يَا رَسُولَ اللهِ أَقِمْ هَذَا الْجَمَلَ، وَإِذَا ضَرَبَهُ بِالْعَصَا قَامَ» فقياسهم هذا مغالطة سفسطية لأن كلتا مقدمتيه كاذبتان، وصوابهما بحسب ميزان المنطق وبحسب الواقع هكذا؛ إن الجمل البارك لا يقوم عند قول القائل يا رسول الله أقم هذا الجمل إن لم يرد الله تعالى قيامه بذلك القول، وكلما ضربه بالعصا قام إن أراد الله تعالى قيامه بضربه بالعصا. فكلتا مقدمتي قياسهم هذا ليس بصادقتين على إطلاقهما، أعني بلا تقييد الصغرى بقيد (إن لم يرد الله تعالى قيامه بذلك القول)، وبلا تقييد الكبرى بقيد (إن أراد الله تعالى قيامه بضربه بالعصا).

فالقول الصادق المطابق للواقع في أداء هذا المعنى هو هكذا: ان لم يرد الله تعالى قيام الجمل البارك بقول يا رسول الله أقم هذا الجمل لم يقم أبداً، وإن أراد عزّ وجلّ قيامه بذلك القول قام لا محالة، وإن لم يرد الله تعالى قيام الجمل البارك بضربه بالعصا لم يقم أبداً، وإن أراد عزّ وجلّ قيامه بضربه بالعصا قام لا محالة. وكلتا الحركتين أعني قيام الجمل البارك بالقول المذكور وقيامه بالعصا لا تخرجان من العدم إلى الوجود إلا بإرادة الله تعالى وقدرته. وإنما القول المذكور والضرب بالعصا سببان لقيام الجمل غير مؤثرين بالإيجاد كسائر الأسباب. هكذا عقيدة الإسلام. ولكن بين هذين السببين فرق، وهو أن قيام الجمل البارك بالقول المذكور أمر خارق لعادة الله تعالى الجارية في الكون نادر الوقوع جداً، ولكن إذا أراد الله تعالى قيام الجمل البارك به قام لا محالة، ويكون معجزة للنبي ﷺ وكرامة لذلك القائل إذا كان مؤمناً صالحاً، وإن قيام الجمل البارك بضربه بالعصا أمر من الأمور الموافقة لعادة الله تعالى الجارية في الكون التي بنى الكون عليها، ولكن إذا لم يرد الله تعالى قيام الجمل البارك به فلا يقوم قطعاً.

كما وقع لفيل أبرهة -ملك اليمن- الذي قصد هدم الكعبة المشرفة، فإنه لما وصل هو وجنوده إلى أوّل الحرم، واستقبل جهة الكعبة المشرفة قاصداً هدمها برك فيله الذي هو راكبه -المسمى بمحمود-، فصاروا يضربون رأسه ويدخلون الكلاليب في مراق بطنه، وجاؤا بشتى أسباب القيام فلم يقم، لأن الله تعالى لم يأذن له دخول الحرم الشريف كرامة

للكعبة المشرفة، ولكنهم كانوا إذا وجهوا وجهه إلى جهة غير جهة الحرم كان يقوم ويهرول، لأن الله تعالى أذن له ذلك.

فعقيدَة الإسلام هي أن أفعال العباد كلها من الحركات والسكنات وما يتكون منهما من القيام والقعود والمشي والتكلم والتنفس وغيرها -سواء كانت اختيارية أو اضطرارية- موافقة لعادة الله تعالى التي بنى الكون عليها من الأسباب الظاهرية أو مخالفة لها كمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء أحياء أو أمواتاً شروراً كانت تلك الأفعال أو خيوراً كلها بخلق الله تعالى وإيجاده. والعبد إنما يكون كاسباً لأفعاله الاختيارية، وسبباً محضاً لأفعاله الاضطرارية. ولا يكون مؤثراً بالإيجاد والإعدام، لأن الإيجاد من العدم والإعدام من الوجود سِكّتان من سكك الربوبية. والثواب والعقاب إنما يترتبان على اختيار العبد وكسبه لا على إيجاد الله تعالى وإعدامه.

والوهابية السفهاء لا ينتبهون لهذا التفصيل المذكور، ولا يعتبرون قيد إذن الله تعالى وإرادته في أمثال تينك المقدمتين، ويجرون على عادة الله تعالى الغالبة فيهما وفي أمثالهما، لأن الغالب في المعجزات والكرامات وخوارق العادات كقيام الجمل البارك بقول يا رسول الله أقم هذا الجمل الندرة جداً، والغالب في الأسباب الظاهرية العادية كقيام الجمل البارك بضربه بالعصا الكثرة جداً، لأن الله تعالى بنى الكون عليها.

فالوهابية السفهاء لجهلهم المركب ولقصور عظيم في درايتهم يخترعون أمثال هذا القياس المركب من مقدمتين كاذبتين مجردتين من اعتبار تقييدهما

بإذن الله تعالى، وإرادته الذي هو مضمر ومركوز في إيمان المؤمن عند كل حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله، فينتجون منهما مجردتين من ذلك الاعتبار الواجب نتيجة وخيمة كاذبة يتروح منها رائحة الكفر. -العياذ بالله تعالى من أمثال هذه المغالطات فالزمهم واسكتهم وادخل الأحجار في حناجرهم بعض أهل الحق بقوله الحق-.

أيها الوهابي الذي بدلت عنوان الوهابية بعنوان السلفية جهلاً مركباً أو تستراً للجرائم التي يستلزمها مذهبك! إنك إذا قلت للجمل البارك: «بِاللهِ أَقِمْ هَذَا الْجَمَلَ» ولم يقم، وإذا ضربته بالعصا وقام فهل يكون عصاك حينئذ —حاشا وكلا- خيراً من الله تعالى؟..

إن هؤلاء من جهة الأحياء يشبهون المعتزلة الذين يعتقدون أن العبد خالق لأفعاله الاختيارية، ومن جهة الأموات يشبهون الذين يئسوا من أصحاب القبور.

ثم اعلم، أن نسبة الفعل وما بمعناه إلى فاعلهما سواء كانت تامة أو ناقصة، اخبارية أو انشائية، حقيقية أو مجازية، تشبيهية أو كنائية على ثلاثة أقسام -بالاعتبار المناسب لهذا المقام الذي نحن بصدده- وهو نسبة الأفعال إلى الله تعالى وإلى غيره:

القسم الأول؛ النسبة الخلقية الإبداعية،

القسم الثاني؛ النسبة السببية الكسبية،

القسم الثالث؛ النسبة السببية المحض.

فالنسبة الخلقية الإبداعية هي من سِكك الربوبية، ومن خواص الألوهية. نحو: ﴿اَللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾[1]

والنسبة السببية الكسبية من صفات المحدَثين من المكلفين، سواء كانت من العاديات التي بنى الله تعالى الكون عليها، نحو: «مَشَى زَيْدٌ عَلَى الأَرْضِ» أو من الخارقات لها، نحو: «مَشَى عَمْرٌو عَلَى الْبَحْرِ».

والنسبة السببية المحض من سمات المحدَثين من غير المكلفين، نحو: «فَعَلَ زَيْدٌ نَاسِيًا أو مُكْرَهًا، ومَشَى الإِبِلُ، وأَحْرَقَتِ النَّارُ، وقَطَعَ السِّكِّينُ، وأَشْبَعَ الْخُبْزُ، وأَرْوَى الْمَاءُ» وغيرها، مما يصدر الله تعالى من غير المكلفين من ذوي الأرواح والجمادات.

فنسبة الأفعال إلى غير الله تعالى باعتقاد الخلق والإبداع شرك –العياذ بالله تعالى منه– سواء كانت تلك الأفعال من الأفعال العادية التي يخلقها الله تعالى في مخلوقاته بطريق جري عادته التي بنى الكون عليها، كالقيام والقعود والمشي وأمثالها في الحيوان، والإحراق في النار، والشبع في الخبز، والإرواء في الماء. أو كانت من الأفعال التي يخلقها الله تعالى في عباده بطريق خرق عادته، كمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، وكلتاهما تنسبان إلى الله تعالى في اعتقاد المؤمن بطريق الخرق والإبداع، وإلى غيره تعالى بطريق

---

[1] – سورة السجدة: ٤

السببية الكسبية إن كان ذلك الغير من المكلفين، وبطريق السببية المحض إذا كان ذلك الغير من غير المكلفين. وقد مرت الأمثلة عن قريب.

ولا شرك شرعاً في نسبة الأفعال إلى غير الله تعالى حياً حاضراً كان أو حياً غائباً أو ميتاً أو جماداً بالطريقتين الأخيرين، وإن كانت تلك الأفعال من الأفعال المختصة بالله تعالى في عرف اللغة أيضاً، أي كما في الحقيقة وفي الواقع. لأن أفعال العباد كلها مختصة بالله تعالى في الواقع والحقيقة أي خلقاً وإيجاداً من العدم، كما قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[1] ولكن منها ما كثر تداولها على الألسنة واستعمالها في المحاورات والمكالمات، وتوقف عليها الإفادة والاستفادة في المقاصد والمآرب، واضطردت نستبها إلى المخلوق بلا قرينة تشير إلى الحقيقة، فيسمى ذلك الإسناد حقيقة عقلية بحسب عرف اللغة، فيكفي في صحة الإيمان بوحدانية الله تعالى فيه الاعتقاد بأن الله تعالى خالق ومبدع لها من العدم، وأن المخلوق كاسب لها، أو سبب محض لها. وتلك الأفعال العامة الموقوفة عليها الإفادة والاستفادة في المقاصد والمآرب بين المخلوقات. نحو: «قَامَ زَيْدٌ، وقَعَدَ عَمْرٌو، وجَاءَ بَكْرٌ، وقَرَأَ خَالِدٌ، وتَكَلَّمَ بِشْرٌ» وهكذا إلى ما لا يكاد يحصى.

ومن الأفعال ما ندرت وقلت نسبتها إلى المخلوق بل أكثر نسبتها إلى الله تعالى في المحاورات والمكالمات، كالإحياء والإماتة والخلق والرزق والإنبات والشفاء والإغاثة والإعانة والإمداد وأمثالها، فإذا نسبت تلك

---

[1] – سورة الصافات: ٩٦

الأفعال إلى المخلوق فمع وجوب اعتقاد أن الله تعالى خالق ومبدع لتلك الأفعال وأن المخلوق كاسب لها أو سبب محض لها يجب في صحة الإيمان بوحدانية الله تعالى فيها أن تكون مع المتكلم قرينة لفظية أو معنوية تشير إلى الحقيقة، بأن تدل تلك القرينة على أن المتكلم يعتقد أن الخالق من العدم لتلك الأفعال هو الله تعالى، وأن الذي نسب إليه الفعل كاسب له، أو سبب محض له، فحينئذ لا بأس شرعاً بإسناد تلك الأفعال إلى المخلوق مع تلك القرينة، بل لا كراهة فيه، لأنه صدر عن المعصومين عليهم الصلاة والسلام. كما يجيء عن قريب إن شاء الله تعالى.

ويسمى ذلك الإسناد مجازاً عقلياً في عرف اللغة، كما هو مقرر ومبين في علم المعاني في مبحث إسناد الفعل وما بمعناه إلى فاعلهما من كونه على قسمين: حقيقة عقلية، ومجاز عقلي. وقرينة المجاز قد تكون لفظية، وقد تكون معنوية.

فالمجاز العقلي الذي قرينته لفظية كقول الله سبحانه وتعالى حكاية عن نبيه عيسى -على نبينا وعليه الصلاة والسلام-: ﴿وَأُمْرِأُ الْاَكْمَهَ وَالْاَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِاِذْنِ اللهِ﴾[1] فإن قوله: ﴿بِاِذْنِ اللهِ﴾ قرينة لفظية دالة على أن مراده ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى﴾ تسبباً كسبياً، أي أكون سبباً كاسباً لإبراء الله تعالى الأكمه والأبرص، ولإحياء الله تعالى الموتى بدعائي منه تعالى.

---

[1] - سورة آل عمران: ٤٩

والمجاز العقلي الذي قرينته معنوية كقول المؤمن: «أَنْبَتَ الرَّبِيعُ الْبَقْلَ» فإن إيمان المؤمن بأن الجن والإنس والملائكة لا يقدرون على إنبات زهرة واحدة من أزهار الربيع قرينة معنوية دالة على أن مراده «أَنْبَتَ الرَّبِيعُ الْبَقْلَ» تسبباً، أي كان الربيع سبباً لإنبات الله تعالى البقل، فيكون من قبيل إسناد الفعل إلى سببه. وكقوله تعالى حكاية عن الذي عنده علم من الكتاب: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[1] فإن إيمان الذي عنده علم من الكتاب بأنه لا يقدر هو ولا غيره من جميع المخلوقات أن يأتوا بعرش بلقيس من سبأ إلى الشام في طرفة عين قرينة معنوية دالة على أن مراده ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ﴾ تسبباً، أي أكون سبباً لإتيان الله تعالى به بدعائي منه تعالى، فيكون من قبيل إسناد الفعل إلى سببه أيضاً. وهكذا إذا أسند مؤمن بوحدانية الله تعالى في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله الشفاعة أو الإغاثة أو الإعانة أو أمثالها إلى أرواح الأنبياء أو الأولياء على وجه المعجزة أو الكرامة لأرواحهم مقيداً إياها بإذن الله تعالى لفظاً واعتقاداً فيكون قرينة لفظية، أو اعتقاداً فقط فيكون قرينة معنوية، فلا بأس به شرعاً، ولو كان ذلك الإسناد بطريق الطلب من أرواحهم، لأنه إذا قيدها بإذن الله تعالى يكون توسلاً بأرواحهم إلى الله تعالى لا عبادة لهم. كما تزعمه الوهابية. وسيجيء بيان جواز التوسل ونفعه في المقالة الثالثة، إن شاء الله تعالى.

---

[1] - سورة النمل: ٤٠

المقالة الأولى

في رد المغالطة الأولى التي هي حمل آيات قرآنية نزلت في حق المشركين على المؤمنين الصالحين

وتلك الآيات هي أمثال قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضاً إِلاَّ غُرُوراً﴾[2] وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾[5] وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ

---

[1] – سورة الرعد: ١٤

[2] – سورة الفاطر: ٤٠

[3] – سورة الفاطر: ١٤

[4] – سورة الأحقاف: ٥، ٦

[5] – سورة الزمر: ٣

أَحَدًا﴾[1] وغيرها من الآيات القرآنية المشتملة على الإنذار والتخويف والردع والزجر والنهي عن دعاء غير الله تعالى، فهي نازلة في حق المشركين الذين يعبدون غير الله تعالى من الأصنام أو الأنبياء أو الملائكة أو الأحبار والرهبان أو غيرهم من ذوي الأرواح أو الجمادات، ويدعونهم في قضاء حاجاتهم بالدعاء الذي هو عبادة. لأن الدعاء في الاستعمال المشهور بين جميع اللغات يجيء بمعنيين:

الأول؛ الابتهال إلى الله تعالى بالسؤال والرغبة فيما عنده تعالى من الخير.

والثاني؛ النداء وطلب إقبال المنادى.

قال في المصباح المنير: «دَعَوْتُ اللهَ أَدْعُوهُ دُعَاءً: ابتهلت اليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير. وَدَعَوْتُ زَيْدًا: ناديته وطلبت إقباله». انتهى

ومن المعلوم لدى كل ذي مسكة[2] أن الدعاء إنما يكون عبادة إذا أريد منه المعنى الأول. وأما باعتبار المعنى الثاني فلا يكون عبادة، بل يجري فيه أحد الأحكام الخمسة، كسائر الأقوال المتداولة بين الألسنة. فإذا دعا أحد غير الله تعالى سواء كان ذلك الغير حياً حاضراً أو حياً غائباً أو ميتاً أو جماداً بالمعنى الأول، وابتهل إليه بالسؤال منه في قضاء حاجته استقلالاً غير مقيد سؤاله في قضاء حاجته منه بإذن الله تعالى وإرادته لفظاً واعتقاداً أو

---

[1] – سورة الجن: ١١

[2] – أي عقل ورأي